معوّقات التّواصل اللّغوي.
الإعاقة السّمعية: دراسة تشريحية وظيفية اكلينيكية

د. حميداني عيسى
كلية الآداب واللغات
جامعة ابن خلدون تيارت
hamidaniaissa@yahoo.fr

عرّف ابن جني اللّغة بقوله « أما حدّها ،فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم »[1]وهذا –في رأينا– من أضبط التعريفات وأكثرها دقةً علميةً في ظل هذا الزخم من المفاهيم الحديثة للغة ،فهي أداة للاتصال والتواصل ،انفرد بها الانسان دون غيره من الكائنات التي تقاسمه هذا الفضاء ،حياتها متوقفة على مدى استعمالنا لها ،واستمراريتها مرتبطة باستمرار العنصر البشري ؛فهي ظاهرة اجتماعية ترقى برقي الجماعة اللغوية المتحدثة بلسانها ،وتموت وتنتكس بموتها وانتكاستها .

حول اللغة :

إنّ اللغة مجموعة من الرموز تكوّن نظاما متكاملا ،وهي أكثر الرموز التي يتعامل بها الإنسان تركيبا وتعقيدا [2]ولعل هذا ما يجعلنا نفرق بشكل واضح بين الرموز الأخرى التي تستعمل لأغراض تواصلية كالإشارات المرورية والضوئية على ضوء التعاريف التي أوردها "جورج مونان (G-Mounin) للغة فقال: «اللغة بمفهوم "جسبرسن" (Jespersen) هي عبارة عن أية وسيلة اتصالية بين الكائنات الحية ويقول "لالاند" (Lalande) " هي كل نظام من العلامات يمكن اعتماده كوسيلة للاتصال ».(3)

من هنا وقياسا على ما استدلنا به على "النظام" فالضحك هو لغة كذلك ،الدموع أيضا هي عبارة عن لغة ،وكثيرا ما نسمع في حياتنا اليومية (أن المرأة لا

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

تجيد إلا لغة الدموع) ،ومن ذلك أيضا :الرسم النحت الموسيقى ،السينما كذلك ،التجمعات الدينية ،المباريات الكروية ،الإشارات المرورية على الطرقات ،العلامات الضوئية ،الإشارات البحرية ،زقزقة العصافير ،أصوات القردة ،رقصة النحل احتكاك قرون الاستشعار لدى النمل ..فكل ما سبق يمكن أن يتحوّل إلى علامات ومن هنا منطقيا هي عبارة عن لغات. (4).

إن هذه الرموز التي استند إليها "جورج مونان" في الحقيقة تبدو رموزا بسيطة جدا بالمقارنة مع اللغة البشرية ،لأن الإنسان وحده هو الذي يتعامل باللغة بطريقة ذهنية إدراكية لطبيعة هذه الرموز المنسجمة لتكون نظاما مركبا معقدا ،يقول "دي سوسير في هذا السمت ": «هي نظام من العلامات معبرة عن أفكار ،ومن هنا يمكن مقارنتها بالنظام الكتابي وأبجدية الصم والبكم وبأشكال التحية وبالعلامات العسكرية ...الخ لكنها الوحيدة الأكثر أهمية من بين هذه الأنظمة » (5). إن هذه الطروحات في ميدان اللغة ،والتفريق مابين ما هو لساني وغير لساني شجع " سوسير" على جعل اللسانيات منضوية تحت الراية السيميولوجية (Sémiologique) « يمكن أن نتوقع ظهور علم يدرس حياة العلامات ضمن إطار الحياة الاجتماعية ،ومن هنا يكون جزءا من علم النفس العام ،ويمكن تسميته بالسيميولوجيا من اللاتنية "سيميون" وهي العلامة ...ولكن باعتبار أنه لم يظهر بعد لا يمكننا أن نتوقع ماذا سيكون عليه ،ولكن من حقه أن يكون موجودا ومكانته مضمونة مسبقا .اللسانيات ما هي إلا جزء من هذا العلم ،والقوانين التي سيكتشفها علم السيميولوجيا يمكن تطبيقها على اللسانيات . » (6)،فاللسانيات من المنظور السوسيري تدرس فقط العلامات اللسانية في حين أن السيميولوجيا تدرس كل التواصلات اللسانية وغير اللسانية إسقاطا على التعاريف التي ساقها "جورج مونان " لمفهوم اللغة.

اللغة هي عبارة عن أصوات –كما عبر عن ذلك ابن جني – ولكنها تحمل دلالات معينة بالنظر إلى طبيعة الدال والمدلول في مفهوم العلامة اللغوية ،ومن هنا فسائر الأنظمة التي ذكرناها من قبل هي أنظمة اشارية بسيطة لا ترقى إلى

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

مستوى هذه اللغة العجيبة. لذا ليس غريبا أن أصبح تعريف ابن جني للغة ملاذا آمنا لكل من يروم الإبحار في بحر لجيّ متلاطم الأمواج وهو بحر اللغة وحسبنا دليلا على ذلك اعتماده من قبل المحدثين العرب والغربيين على حد سواء ،ورغم الاضطراب الذي تعج بها الساحة اللسانية من جراء التعاريف المتضاربة حينا والمتناقضة أحيانا أخرى ؛لذا فالتواصل « هو تبادل كلامي مابين المتكلم الذي ينتج ملفوظا معينا إلى متكلم آخر ،وهذا الأخير يرحب بالاستماع إلى إجابة واضحة أو ضمنية بحسب الملفوظ...»(7) ،لكن المعجم الفرنسي لتعليمية اللغات يذهب إلى القول :التواصل هو تبادل "معلومة ما " بين باث ومتلق بفضل رسالة تمر عبر قناة ،كالتواصل الهاتفي مثلا .» (8) . رب سائل يسألنا :أين يكمن جوهر التأثر؟

إن التعريف السابق لابن جني يؤكد –بدقة علمية متناهية –بنية اللغة ،وأهم الجوانب المكونة لها والتي اعتمدتها التعاريف اللسانية المعاصرة :من حيث الجانب الصوتي وما يتعلق بالصوت اللغوي من حيث الإنتاج الذي يعدّ عملية فيزيولوجية عضوية بحتة لأنها تعتمد بشكل كلي على أعضاء النطق في التصويت أو إصدار الأصوات اللغوية ،أما جانب الانتقال فهو مرحلة فيزيائية ينتقل الصوت بعد الإنتاج عبر تموجات الهواء ليصل إلى المرحلة النهائية وهي الاستقبال عن طريق الجهاز اللاقط (الأذن). أما الطابع التعبيري أوالوظيفة التعبيرية للغة ،فالإنسان محكوم عليه أن يتعامل بهذا النظام للتعبير عن آرائه ومكنونات نفسه ،وأحاسيسه وعواطفه ،فالغاية منها « الإبانة عن أغراض من يتكلمون بها في مجتمع ما ،سواء أكانت هذه الأغراض فكرية أو وجدانية أو لمجرد التسلية الشخصية ومن البيّن أن الأغراض التي تبين اللغة عنها تختلف في كل مجتمع عنه في الآخر ،وهذا بتأثير العصر والبيئة. » (9) ،فاللغة نشاط إنساني تبعا للعضو الفاعل لها وهو اللسان ،ألم يحدّد ابن خلدون هذه الناحية في مقدمته قائلا:« اعلم ان اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصوده ،وتلك

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

العبارة فعل لساني ناشئ عن المقصد لإفادة الكلام ،فلابد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان .وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم . » (10)

لقد حدد ابن خلدون كما رأينا وظيفة اللغة وهي الإفادة والتعبير وتبادل الأفكار والمعلومات ولكن بكيفية معينة ،تلك هي إذن الوظيفة الرئيسية التي تؤديها الألسنة البشرية (11).

أصبح مفهوم اللغة وعلاقته بالتواصل من الأولويات في الدراسات اللسانية الحديثة خاصة في ظل التطور الهائل الذي تشهده مختلف الميادين الحياتية ،وما تعلق بالتطور في مجال الاتصالات فيجمع علماء اللسانيات على أن الكلام يضطلع بمهمتين أساسيتين ،وهما التوصيل والتعبير ،فاللغة –بمفهوم الوظيفة الأولى–أداة تمكن المتخاطبين من الاتصال بعضها ببعض للتعامل أو التعاون في حياتهما اليومية ،وأما التعبير فهو التبليغ والتوصيل(12)

أساسيات التواصل اللغوي :

بات من البديهي –في ظل تطور الدرس اللساني الحديث– معرفة العلاقة الوطيدة بين اللغة والتواصل ،هذه الثنائية التفاعلية ولدّت مفهوما وإجراءً جديدين وهو التواصل اللغوي ،وهو في أبسط تعاريفه التفاعل بين طرفين أو أكثر من الأفراد المجتمع اللغوي الواحد في شتى مجالات الحياة بغية التعبير عن حاجيات أو رغبات ونقل المشاعر والأحاسيس ،ومن هنا وجب أن نشير إلى طبيعة الرسالة المتبادلة بين الطرفين ،بحيث لا تقتصر على التعبير اللفظي ،بل يمكن أن تتجاوز ذلك إلى مستويات أخرى من التواصل كالكتابة مثلاً ، لأن الكاتب «هو مصدر كل ما ورد في كتابه من أخبار وأفكار .والقرّاء هم بمثابة المقصد .وعملية الكتابة والتسجيل هي بمثابة الإرسال .وبقاء محتوى الكتاب مكتوبا هو المسلك الذي يضمن للكتاب الديمومة عبر الزمان والمكان .وأخيرا

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

فإن عيون القراء وعقولهم هي أجهزة الاستقبال »(13) ،وكذلك الشأن بالنسبة للمستمع لوسائل الإعلام المختلفة المسموعة منها والمرئية،فيكون السامع حينئذ متلقيا للرسالة الصادرة ،وفي كل هذه الحالات الطرفان(المرسل ،المرسل إليه) كلاهما يعتمد على عمليات عقلية وذهنية مادتها ومضمونها اللغة .من هنا يتبين لنا ان التواصل عملية يشترك فيها عدة عناصر وهي :

أ–مصدرSource.

ب– مقصد Destination

ج– مرسلة Transmetteur

د– مسلك أو قناة Voie ou Canal

هـ– مستقبلة Récepteur (14)

إن الإنسان مهيأ ومؤهل للتواصل مع غيره ،مرسلا أو مستقبلا بالنظر إلى الجهازين الذين حباهما الله به وهما :النطق والسمع .

الجهاز السمعي :

لا يخفى على أحد أنّ الصوت مدرك سمعيّ و الأذن وهي–بمختلف تشكيلاتها العضوية –الجهاز الوحيد للاستقبال الصوتي،وأداة السمع تلتقط الإشارات الصوتية ،وتقوم بتحويلها إلى ردّة فعل تسبر غور الأعصاب في طريقها إلى الجهاز العصبي المركزي (15)، لذا فإن حاسة السمع حاسة عظيمة عجيبة من حيث دورها وتركيبها ،وقد توصل علماء التشريح إلى حقائق مذهلة تخص الأذن ظلت طي الجهل منذ زمن بعيد ،فهذه الأخيرة هي آلة السمع الوحيدة لدى الإنسان والحيوان ،بفضلها نسمع الأصوات فيقوم الدماغ بتحليل هذه الإشارات الصوتية ،ثمّ يصدر الأحكام وردود الأفعال والقرارات بشأنها قبولاً أو رفضاً .وتتشكل الأذن عند الإنسان من عدّة « أجهزة دقيقة تعمل على التقاط

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

الموجات الصوتية (...) وحفظ توازن الإنسان من خلال جهاز التوازن الهوائي (...) على الرغم من صغر حجمها »(16)

إن المتابع لنتاجات الدراسات الصوتية في العصر الحديث يدرك مفارقة عجيبة ،وتنحصر في اهتمام هذه المؤلفات بالجانب النطقي ،وإبراز دور الجوانب الفزيولوجية المتعلقة بالجانب النطقي خاصة دون مراعاة الجهاز الأخر الذي لا يقل أهمية عن الأول ،وظني بهم أنهم يعدون النطق هو الأولى بالدراسة من غيره ،وفي ذلك يقول "دي سوسير" :«إن الدراسات الصوتية الحديثة وإن كان اهتمامها منصبا على أعضاء النطق وتحديد وظائفها، فلم يكن الحديث عن هذا الجهاز منفصلا عن جهاز السمع لما له من دور فعال في استقبال الصوت وإدراكه،ولكن الكثير من الدارسين لعلم الأصوات الوظيفي يهتمون بدرجة كبيرة بالجانب التصويتي، أي إنتاج الأصوات من قبل الأعضاء كالحنجرة، الفم..ويهملون في ذلك الجانب السمعي،وهذه الطريقة ليست صحيحة... » (17)

إذاً للسمع–انطلاقا من القول السابق– أهمية عظمى، فالأذن عضو غضروفي ليس باللحم المسترخي ولا بالعظم الصلب، بل هي بين ذلك درجة ،وتعين الاذن البشرية من حيث خصائصها على اكتساب المهارات اللغوية« Pour connaître une langue c'est la manipuler acoustiquement son effort»

. (18) فأول مهارة يحسن المتعلم توظيفها هي مهارة السمع ، وهي التي تعينه على النطق ؛ وتساعده على المحاكاة اللغوية ؛ لذلك ارتبطت ارتباطا وثيقا بالقراءة ، ودقة الاستماع تمكن المتعلم من التحصيل الصحيح للملكة اللغوية ، ويظهر أثر الاستماع في الانتظام اللغوي المطرد ، وكلما كان الجهاز السمعي سليما كان تقدم الناشئ في القراءة ، ولذلك اعتمد كمنهج تعليمي في المراحل الأولى في المدارس التقليدية (المدارس القرآنية والكتاتيب) «rien ne veau qu'une oreille attentive» (19) فلا شيء يضاهي أذنا منتبهة ؛ ولدورها كجهاز استقبال ؛ انصب عليها البحث ؛ وظفتها التعليمية في تعليم اللغة المنطوقة .

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

ذهب الطبيب ابن سينا إلى وصف هذا العضو، وبيّن الأجزاء المكونة له فقال: «اعلم أن الأذن عضو خُلق للسمع وجُعل له صدفٌ مقوج ليحبس جميع الصوت ،ويوجب طنينه وثقب يأخذ في العظم الحجري ملوّلب معوّج، ليكون تعويجه مطولاً لمسافة الهواء ،وإنما دبّر لتطويل المسافة إليه لئلا يغافص باطنه الحرّ والبرد المفرطان ،بل يردّان عليه متدرّجين إليه وثقب الأذن يؤدي إلى جوبة في هواء راكد ،وسطحها الأنسي مفروش بليف العصب السابع الوارد من الزوج الخامس من أزواج العصب الدماغي وصلب فضل تصليب لئلا يكون ضعيفا منفعلا عن قرع الهواء (...) فإذا تأدّى الموج الصوتي إلى ما كان هناك أدركه السمع (...) والصماخ كالثقبة العنبية ،وخلقت الأذن غضروفية ،ولو خلقت لحمية أو غشائية لم تحفظ شكل التقعير والتعرج الذي فيها ،ولو خلقت عظمية لتأذت ولآذت في كل صدمة (...) وخلقت الأذن في الجانبين ،لأن المقدّم كان أوفق للبصر كما علمت ،وخلقت تحت قصاص الشعر في الإنسان لئلا تكون تحت ستر الشعر اللباس ... »(**20**)

إنّ البحوث التشريحية الحديثة للأذن قد أظهرت أنها ليست جسماً واحداً بل هي مجزأة إلى ثلاثة أقسام رئيسية ،وأوردت هذه الأجزاء مفصّلة الكثير من المصادر والمراجع العربية والأجنبية لعلم الأصوات ،فهي «مقسّمة إلى ثلاثة أقسام :الأذن الخارجية ،وتتركب من صيوان وصماخ (...)ويلي هذا الأذن الوسطى التي فيها عظيمات ثلاث صغيرة تسمى عادة بالمطرقة السندان، والركاب، أما الأذن الداخلية ففيها أعضاء السمع الحقيقية لانتشار ألياف العصب السمعي بأجزائها ،وفي الأذن الداخلية السائل التيهي وفيه تنغمس الأعصاب السمعية.» (**21**)

الاستماع خاصية مميزة تقترن بصفة الإدراك للصوت اللغوي بالنسبة للعنصر البشري لأن هذه الحاسة مشتركة بين الإنسان وغيره من الحيوانات وبعض الآلات ،ومن هنا« لا يحسن إطلاق مفهوم السمع واصطلاحه إلا على الصوت اللغوي الإنساني ،لأن الصوت ذبذبات فيزيائية عامة تدركها حاسة

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

فيزيولوجية عامة ،أما العملية السمعية اللغوية الإنسانية فتمر في ثلاث مراحل ،مرحلة الاستقبال الصوتي ،يتبعه التحويل وأخيرا التقرير.» (22)إذا السمع كحاسة فيزيولوجية قاسم مشترك بين بني البشر وغيرهم ممن يقاسمهم هذا الوجود ،وبالتالي من الأجدر الميل إلى استعمال المصطلح الذي يعبر عن إدراك الصوت الذهني ثم اتخاذ القرار وهو علم الصوت الاصغائي،لأننا لا نستقبل الصوت من أجل «استقباله فقط ،لأن ذلك تحصيل حاصل من وظيفة الأذن ،وإنما نستقبله من أجل فهمه ،وتحويل الموجات الصوتية الفيزيائية إلى مواقف وقرارات. » (23).لقد ثبت علمياً أن حاسة السمع لدى الإنسان من أهم الحواس الخمس في عمليتي الإدراك الذهني للأصوات اللغوية ومن ثم عقد التواصل لا مع غيره فحسب وإنما مع الكون كله الذي يمتلئ بآلاف الأصوات ليلاً ونهاراً، وأنها الحاسة التي لا تتوقف عن العمل حتى في حالة نوم الإنسان ،وتعمل ليلاً ونهاراً ،وتسمع الأصوات من على بعد مسافات طويلة .

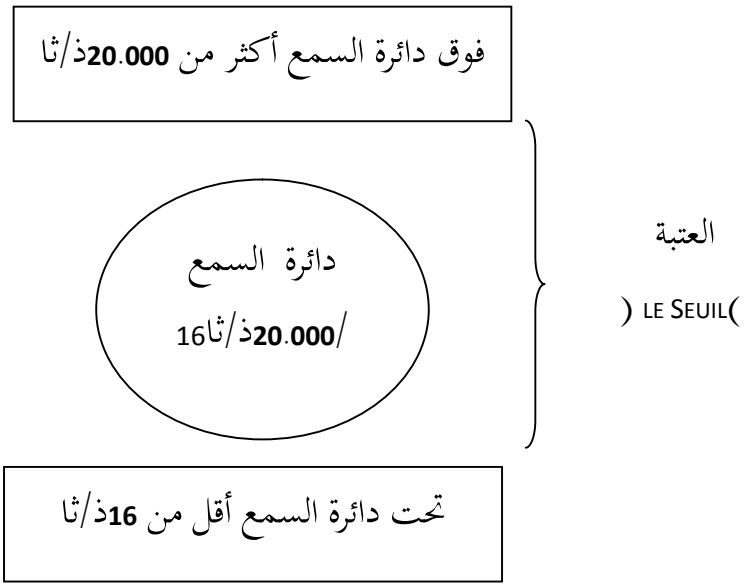
إن عملية التواصل ما هي إلا تأثير متبادل بين طرفي الرسالة(المرسل والمرسل إليه) في سياق اجتماعي معين بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ،وهذا اعتماداً –كما بيّنا– على جهاز التصويت ،والجهاز اللاقط للموجات الصوتية ،لكنّ هذه العملية الحيوية معرضةٌ للعديد من الاضطرابات خاصة على مستوى السمع ،لأنّه –في رأينا –محور التواصل بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة ،وهو المقدّم عن البصر ؛وبدون سمعٍ لن يتمكن الانسان من اكتساب الأصوات اللغوية ،بل إنّ الواقع يؤكد أنّ فئة من المعاقين*قد تمكنت من شقّ طريقها إلى المجد ،وتبوأت مراتب سامية ،وحققت انجازات عظيمة يعجز عنها المبصرون الأقوياء ؛فالإبداع ليس وقفاً على المبصرين فقط كما يتوهم البعض .

الصمم :

إنّ الأذن البشرية –من خلال تشكيلاتها –بإمكانها أن تدرك الصوت مابين (20/20.000 ذبذبة في الثانية) وهناك من يرى أنّ الأصوات التي يبلغ ترددها أقل من

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

16 هرتز(Hertz) (24)هي تحت السمع ،و لا يمكن للأذن البشرية التقاط موجاتها نظراً لنسبة التردد التي تقل عن "16 أو 20 ذبذبة /ثا) لأنها أصوات تقع دون دائرة السمع ،أما التي تفوق (20.000ذ/ثا) لا تدركها الأذن العادية لأنها فوق دائرة السمع ،بل قد يؤدي هذا النوع من الأصوات (الحادة) إلى إتلاف الجهاز السمعي جزئياً أو كلياً (25)؛لذا ينصح الأطباء المتخصصون في هذا المجال العاملين في أشغال الحفر بواسطة الآلات ذات الصوت القوي إلى ارتداء الخوذة الواقية تفادياً لأيّ تلف أو مرض قد يصيب الأذن؛ إذ أنّ شدّة الصوت الذي يفوق 120 (db) من الممكن أن يؤثر على خلايا الجسم وعلى الجسم كاملا ،فمثلا في شدّة صوت 85 (db) لمدة 8 ساعات متواصلة من الممكن أن يؤدي إلى الطرش (surdité)، وشدة صوت 125 (db) يسبب وجع في الجسم وخصوصا في الأذنين ،وكل شدة صوت تكون أعلى من 130 (db)تؤثر بشكل خطير على صحة الإنسان عامة وعلى سمعه خاصة ،أما التعرض لصوت شدته 160 (db) يسبب طرشاً فورياً ويكون الموت حتمياً إذا تعرض الانسان لصوت في شدة أعلى من 190 (db) (26).



Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

من المسلمات العلمية أنّ السمع مهارة ضرورية لنمو اللغة ؛والطفل الذي لا يسمع اللغة من حوله سيواجه حتماً صعوبات جمّة في تعلّمها،بل قد يكون من المستبعد تحصيلها ومن هنا ندرك أنّ من أهم العناصر التي تشكل أساس إنتاج واستقبال اللغة بمفهومها العام ،ومن ثمّ انتقالها إلى المخ هو الجهاز السمعي السليم . وإنّنا متأكدون بحسب ما توصلت إليه الأبحاث الطبيّة المتطورة أنّ الإعاقة السمعية سبب كافٍ لتدهور آلية النطق , فكلما ازدادت حدّة الإعاقة السمعية كلما كانت مشكلات النطق المصاحبة أكبر وأعمق والعكس صحيح.

يذهب المهتمون بهذا النوع من الإعاقة إلى تعريف الطفل الأصم بأنه الذي حرم حاسة السمع منذ ولادته إلى درجة تجعل الكلام المنطوق مستحيل السمع مع أو بدون المعينات السمعية ، أو هو الذي فقد القدرة السمعية قبل تعلم الكلام أو الذي فقدها بمجرد أن تعلم الكلام لدرجة أن أثار التعلم فقدت بسرعة ، وأن الطفل الأصم هو الذي لا تؤدي عنده حاسة السمع وظيفتها من أجل أغراض الحياة العادية(27). ومن هنا لا يجب ان نخلط بين الصمم وضعف السمع وكل ذلك اعتمادا على وحدة قياس السمع على جهاز الأديومتر (audiomètre) وهي الديسيبل (dh).فالأصم يكون فقدان سمعه 92 ديسيبل لدرجة عجزه عن استعمال حاسة السمع لتلبية حاجياته الضرورية للحياة ،بينما يتراوح فقدان السمع عند الطفل الذي يعاني من القصور السمعي ما بين 26–92 ديسيبل؛ولابد له من استعمال الأجهزة المساعدة للسمع كالسماعات مثلا .إذاً الطفل ضعيف السمع ليس هو الأصم كما ينعته البعض ،بل هو الشخص الذي فقد جزءاً من قدرته السمعية بالرغم من أن حاسة السمع لديه تؤدي وظيفتها ولكن بكفاءة أقل ، وتصبح مهارة الاستماع لديه عاديةً ،وذلك عند استعانةً بالأجهزة السمعية الحديثة.

ميّز "موراو" (Morrow) بين ست درجات من الصمم ،وهي كالآتي(28):

أ– الصمم الخفيف : تقدر الخسارة السمعية في هذا المستوى ما بين 26–40 ديسيبل.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

ب–الصمم المعتدل : تقدر الخسارة السمعية في هذا المستوى ما بين 41–55 ديسيبل.

ج–الصمم الشديد نسبياً: تقدر الخسارة السمعية في هذا المستوى ما بين 56–70 ديسيبل.

د–الصمم الشديد: تقدر الخسارة السمعية في هذا المستوى ما بين 71–90 ديسيبل.

هـ–الصمم العميق : تتجاوز الخسارة السمعية في هذا المستوى عن 91 ديسيبل .

و–الصمم التّام: تفقد حاسة السمع وظيفتها كليةً ، وفيه تتلف آليات القوقعة وأحياناً الممرات السمعية (29)

وذهب بعض الدارسين إلى تصنيف الصمم بحسب المعايير الآتية :

1– صمم ما قبل اللغة : ويشمل هذا التصنيف أولئك الذين فقدوا مهارة السمع قبل الاكتساب اللغوي (Acquisition du Langage)،ولا يخفى على أحد مدى خطورة الآثار السلبية الناجمة عن ذلك وخاصة في مرحلة التقليد (imitation) فيكون الطفل حينئذ غير قادر كليّةً على تعلم اللغة .

2– صمم ما بعد اللغة : من حسن حظ هذه الفئة أنّها قد أصابها الصمم بعد فترة الاكتساب اللغوي حيث تكون قد توفرت لديهم مجموعة من المفردات اللغوية وهم يستطيعون المحافظة عليها أو تقويتها إذا توافرت لديهم الرعاية الاجتماعية والتربوية اللازمة (30)

3– الصمم اللفظي : نظراً لبعض الصعوبات السمعية التي يعانيها بعض الأشخاص ، فقد يصبح الفرد عاجزاً عن فهم كل ما يسمعه من كلمات بسبب –كما قلنا– صعوبات في جهاز السمع أي في عملية الاستقبال مثل إصابة

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

الأذن الخارجية أو إصابة خلايا المخ في الأذن الداخلية ، كما قد ينتج عن اضطراب في ذبذبات الصوت المرسل للأذن بحيث ينتج عن ذلك ما يسمى بالحبسة السمعية(31).

4– الصمم النفسي :

وفيه يفقد الشخص القدرة على السمع مع عدم وجود أي سبب عضوي يدعو لفقد السمع عنده وهو بداية لاضطرابات نفسية يعاني منها المريض(32).

ويمكن القول –مما سبق – أنّ الفرق بين الأصم وضعيف السمع لايكمن في الدرجة لأن الأصم هو ذلك الشخص الذي يتعذر عليه أن يستجيب استجابة تدل على فهم الكلام المسموع ، بينما الشخص الذي يشكو « ضعفاً في سمعه يستطيع أن يستجيب للكلام المسموع بشكل يدل على إدراكه لما يدور حوله بشرط أن يقع مصدر الصوت في حدود قدرته السمعية ، ومعنى هذا أن الشخص الأصم يعاني اختلالاً يحول بينه وبين الاستفادة من حاسة السمع ، فهي معطلة لديه وهو لهذا لا يستطيع اكتساب اللغة بالطريقة العادية ، في حين أن ضعاف السمع يعانون نقصاً في قدرتهم السمعية ويكون هذا النقص بدرجات متفاوتة غالباً »(33)

آثار الصمم على النّمو اللّغوي :

لا يشك أحد في أننا لازلنا لم نفهم ونستوعب دور الجانب الوراثي في بلورة القدرات العقلية التي تكمن وراء تعاملنا مع اللغة الإنسانية ،لكن الشيء المؤكد أن الطفل السليم لا يمكن أن يصل إلى مرحلة النمو اللغوي إلا إذا تضافرت عدة عوامل رئيسية وتفاعلت فيما بينها لتصل بالطفل إلى الكلام .لأن الطفل « لا يولد ملاكا رحيما ،ولا شيطانا رجيما ،ولكنه يبرز للحياة بزخم من الإمكانيات لها اتجاهات ونتائج متباينة بفعل الوراثة والحالة الصحية ،والبيئية

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

الاجتماعية .» (34).ومن المعروف علميا أن عملية النمو الجسماني والعقلي والنفسي والاجتماعي لدى الطفل مرتبطة بالنضج الذي هو مجموع العوامل الوراثية الفطرية من حيث اكتمال بعض الأجهزة العضوية ،ونضج بعض الأنسجة العصبية والعضلية ،ويبدو أثر الوراثة منذ الإخصاب ،وما يتبع ذلك من تفاعلات ناتجة عن صفات متوازية بين طرفي الأسرة الأساسيين (الأب والأم) .ومن هنا تشير العديد من الأبحاث النفسية والطبية خاصة أن « من العوامل الوراثية المرتبطة بالنمو لدى الأشخاص المصابين بأمراض على مستوى الجهاز العصبي المركزي ،وكذا المصابون بالصرع (L'épilepsie) ،ومن خلال أبحاث "فرازر ومعاونيه " Fraser et collaborateurs فقد أكدت هذه الأبحاث على أن خطر الإصابة بالمرض العصبي لمولود جديد عندما يكون الوالدان غير عاديين هي بنسبة 0.6٪ ،لكن إذا كان الولدان غير مصابين بهذا المرض ،فإن نسبة الخطر بالإصابة هي1‰» (35)

لقد فرضت الإعاقة السمعية عزلةً موحشة على الطفل في بدايات تعامله مع الكلام ،فأصبح حينذاك لايتواصل مع أقرانه ،لايتمكن من فهم العالم من حوله ،يصعب عليه التعبير عن أحاسيسه ،وعواطفه وحاجاته العاطفية والبيولوجية ؛فالإعاقة السمعية تؤثر على « لغة الطفل في جميع جوانب النمو اللغوي ،فالطفل المعاق سمعياً سيصبح أبكماً إن لم تتوفر لديه فرص التدريب الفعالة ،ويرجع ذلك إلى عدم حصوله على تعزيز لغوي كاف من طرف الآخرين »،(36)وليس هذا فحسب فالطفل المعوق سمعيا يحس بأنه مختلف عن بقية الأطفال ،ولذلك تتعزّز عزلته فيميل إلى الإنطوائية ،وقد يتفاقم الوضع حتى يصبح هذا الطفل مصاباً بأمراض نفسية خطيرة تهدّد حياته كاملة ،ويكون نضجه الاجتماعي بطيئاً مقارنة بأقرانه من السامعين ،ويقدر بعض الباحثين ذلك بحدود 15–20% من المستوى المتوقع ،إذ تكون المشكلات المرتبطة بالاتصال اللفظي في أغلب الأحوال هي السبب في تأخر النضج الاجتماعي(37) أصبح

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

من الواضح والبديهي أنّ القاموس اللغوي للطفل المعاق سمعياً ضعيف جداً بفعل العزلة المفروضة عليه بالقوة أو التي فرضها على نفسه احساسا وشعوراً ،فتظهر جمله مقتضبة مخلّة بالمعنى في كثير من الأحيان ، يميّزها البطء والتّردد في أحيان كثيرة ،يعاني من صعوبات في فهم معاني الكلمات ،والربط بين الدّال ومدلوله .

استراتيجيات التواصل مع ذوي الإعاقة السمعية :

1– التدريب السمعي :

يعدّ من الاتجاهات الحديثة في تعليم الأطفال المعاقين سمعياً والذي يركز على الاستفادة من السمع المتبقي لديهم.ويتمثل هذا النوع من التدريب في تنمية مهارة الاستماع لدى هؤلاء الأطفال من خلال تحسين قدراتهم على التمييز بين الأصوات . (38)

2– قراءة الشفاه (lecture_Labiale)

ونعني بها تنمية مهارة المعاق سمعياً على قراءة الشفاه وفهمها ، من خلال التتبع لحركة الفم والشفاه أثناء الكلام من قبل الآخرين،والهدف من هذا المنهج هو تعليم الطفل الأصم الاتصال اللغوي من خلال هذه الاشارات الجسمية المتعارف عليها (39) وتتوقف نجاعة هذه الطريقة بشكل واضح على مدى فهم المعاق لهذه الحركات بالإضافة إلى الاشارات المصاحبة لعملية الكلام .

3–الاتصال اليدوي :ويصطلح على تسميتها بلغة الاشارة (Langage de signes) :تعتمد هذه الطريقة على رموز إيمائية تستعمل بشكل منظم ،وعلى حركية اليدين ،وملامح الوجه والجسم بشكل عام(40)

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

انبرى العديد من العلماء الباحثين في مجال اللسانيات البيولوجية إلى اقتراح جملة من الوصفات العلاجية لهؤلاء المرضى ،وقد أثبتت البحوث نجاعتها في هذا الميدان نهائيا ،أو على الأقل التقليل من خطورة أعراضها على مستوى التواصل اللغوي ،الذي يعتبر من أهم الوظائف التي تضطلع بها اللغة الإنسانية لأن « الوظيفة الأساسية للغة هي التعبير والتواصل ،لأنها قادرة على تلبية كل المتطلبات للجماعة المتكلمة بها »(41).إذن ما الفائدة المرجوة من الجانب البيولوجي إذا لم يكن في مقدوره أن يصل إلى تحديد العلاقة بين الجانب الوظيفي للدماغ البشري المسؤول على إنتاج الأصوات اللغوية واستقبالها من جهة والبنية البيولوجية من جهة أخرى ،ومن هنا يحاول الباحثون في علم اللسانيات البيولوجي* معرفة ما مدى تأثير التأثيرات الدماغية على العمليات اللغوية والكلامية ،وهذا من خلال دراساتهم المكثفة للأطفال المصابين بعاهة الصم أو عاهة العمى منذ ولادتهم .فهم يحاولون تتبع التطور اللغوي في أدمغة هؤلاء الأطفال المصابين .فكما هو معروف فإنّ الطفل الأصم لا يستطيع أن يكتسب اللغة اكتساب الطفل العادي لها وبالمراحل الزمنية نفسها .والحقيقة أنه إذا لم يكن هناك برنامج تعليمي مكثف يهدف إلى توجيه الطفل الأصم وتعليمه فإن ذلك الطفل الأصم سيبقى طوال حياته دون لغة(42).

ينبغي إذاً الاعتماد على برنامج مكثف لتعليم هذا النوع من الأطفال يؤطره مختصون في هذا المجال ،ولايمكن أن نعول فقط على الوسائل البديلة والفحوصات الطبية ،بل يجب أن نشرك علماء اللسانيات بمختلف فروعها في هذه العملية ،لأنّ بالرغم من التلف الدماغي الذي يصيب الطفل الأصم فإنه يظل يكتسب اللغة بشكل سهل ،وذلك اعتماداً على المناهج التي بسطناها من قبل ولكن على الرغم من اختلافها إلا أن هدفها واحد وهو تمكين الأطفال ذوي الإعاقة السمعية بمختلف درجاتها وتصنيفاتها من التواصل والاتصال والتبليغ .

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

الهوامش

1 – ابن جني "الخصائص "تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت 1983، ج1،ص33

2– ينظر محمود فهمي حجازي " مدخل الى علم اللغة " ،دار قباء للطباعو والنشر والتوزيع (دت ،دط) ،ص10

3– Georges Mounin "clefs pour la linguistique" ;P29

4– IBID ;P 30

5– F.DE SAUSSURE" cours de linguistique générale",P33

– BID",P336

7- Jean Dubois et autres "Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage" ;P94

8- Gallisson.R et Coste .– "Dictionnaire de Didactique des Langues" .P102-103

9–محمد عيد "الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون " ،عالم الكتب القاهرة ،1979 ،ص108.

10– ابن خلدون "المقدمة " ،دار الفكر ،بيروت ،لبنان نط1 ،2003 ،ص 565.

11– ينظر خولة طالب الإبراهيمي " مبادئ في اللسانيات " ،ص24–25.

12– ينظر محمد الصغير بناني " النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين " د،م،ج الجزائر 1994، ص195

13– حنفي بن عيسى ،المرجع المذكور سابق ،ص78.

14– حنفي بن عيسى ،م نفسه ،ص77.

15– ينظر : عبد الرحمن أيوب ' أصوات اللغة ' ،ص 78 بتصرف

16– كريم زكي حسام الدين ،الدلالة الصوتية ،ص 47.

17- F-Sausure 'cours de linguistique GLE 'P63–

18- - jean cureau – branco vuletic ." enseignement de la prononciation – les systèmes verbo tonal". Ed . sidier 1976 . p . 13

19- Malmberg ". les domaines de la phonétique ". ed . puf . 1971 . p 35.

20– ابن سينا 'القانون في الطب ' ،ج2 ،ص 1015

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

21– إبراهيم أنيس"الأصوات اللغوية "ص15

22– مكي درار "المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية" ،دار الغريب للنشر والتوزيع ،ط 2 ،2006 ،ص 143.

23– نفسه ،ص 142

*منهم على سبيل المثال لا الحصر :عبقري الموسيقى والفن "بتهوفن" ،وعميد الأدب العربي "طه حسين"

24– نسبة إلى الكسندر جراهام بل (Alexander Graham Bell) مخترع الهاتف .تبدأ هذه الوحدة من الصفر عند ضغط جوي مقداره 20ميكروبار(20 MPa)وهي أقل شدة صوت يستطيع الانسان العادي سماعها،كما أن أذن الانسان العادي تستطيع تحمل صوت يبلغ شدته 120 ديسيبل.ينظر:

- Bruce Robert V. Bell: Alexander Bell and the Conquest of Solitude. Ithaca, New York: Cornell University Press, 1990;P 419

25– ينظر مكي درار : المقررات الصوتية ،ص 70

26–Michel Habib, "Bases neurologiques des comportements", éd Masson, 1998.P113

27– السيد محمد بدوي ، محمد السيد حلاوة ، الرعاية الاجتماعية للطفل الأصم ، الإسكندرية ، المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع 1995 ، ص 32 .

28-Rondal : Troubles du langage ,diagnostic et rééducation .Mardaga,Bruxelles.P220

29– آمال عبد السميع باظة ، سيكولوجية غير العاديين وذوي الاحتياجات الخاصة ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، 2002 ، ص 56

30– ماجدة سيد عبيد ، الإعاقة السمعية ، الرياض ، مكتبة الهديان ، 1992 ، ص 15 .

31– فرج عبد القادر طه ، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، الكويت ، دار سعاد الصباح ، 1993 ، ص 439 .

32– فؤاد أحمد البدري ، أسرار الصم وعيوب الكلام ،كتاب اليوم الطبي ، 1985 ، ص 66.

33– مصطفى فهمي ، أمراض الكلام ، القاهرة ، مكتبة مصر ، 1975 ، ص 109 .

34– محمد الناصف " التربية والتعليم " الشركة التونسية لفنون الرسم ،1996 ،ص 15–16.

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com

35- R.S. ILLINGWORTH " développement Psychomoteur de l'enfant " P 38.

36 –Aimard (Paul) :le langage et l'enfant ;PUF 1981:P16

37– عزيز إبراهيم مجدي"مناهج تعليم ذوي الاحتياجات الخاصة"مكتبة الانجلو– المصرية ،القاهرة ،2002 ،ص455–456

38– ينظر المرجع نفسه ،ص 459 بتصرف.

39– ينظر : مازن الوعر " قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث " دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ،ط1 /1988 ،ص 314

40– المرجع نفسه ،ص 463

41-ANDRE Martinet ' éléments de linguistique générale"Armond Collin ,4éd 1998 P 9

) *Biolinguistique(

ترى اللسانيات البيولوجية أن اللغة ما هي إلا تكوين بيولوجي كبقية العمليات البيولوجية الأخرى لدى العنصر البشري ،أو بالأحرى يقوم هذا العلم بدراسة اللغة كظاهرة بيولوجية للكائن الحي مع التركيز على الجوانب العصبية والفيزيولوجية والوراثية وغير ذلك . ،ولعل هذا العلم يركز على العلائق بين الوظائف اللغوية ،والوظائف البيولوجية التي يمكن من خلالها استثمار هذه المعطيات لتقديم التفسير العلمي لنواح لسانية خفية ،يصعب على الباحث الوصول إلى حقيقتها ،ولعل ذلك ما ذهب إليه مازن الوعر في قوله : « علم اللسانيات البيولوجي هو وصف وشرح العلائق الرياضية التجريدية القائمة بين الوظائف اللغوية ،وبين الوظائف البيولوجية ثم الاستفادة من ذلك في نواح لسانية تطبيقية عديدة ...ينظر :– أحمد مختار عمر " محاضرات في علم اللغة الحديث " عالم الكتب ،القاهرة ،ط1 ، 1995 ،ص54. ومازن الوعر ، المرجع نفسه ،ص 403.

42– المرجع نفسه ،ص 314 بتصرف

Pdf créé avec la version d'essai pdfFactory Pro www.pdffactory.com